مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

الكرامة الإنسانية بين التكريم التكويني والتشريع

الباحث. حسنين عدنان عباس الجنابي
جامعة مازندران / كلية الالهيات والمعارف الاسلامية / قسم علوم القرآن والحديث
hasanainadnan8@gmail.com

الملخص

انطلاقاً من التعريف بالكرامة والإنسان والإنسانية والتكريم التكويني للإنسان التي حددتها الديانات السماوية المختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن بدءاً من خلقه على أحسن صورة وبث روحه التي من روح الله سبحانه وتكوينه الروحي والجسدي واستخلافه في أرض الله فكان بذلك إثبات للتكريم التكويني للإنسان بالنص الإلهي في كتبه وإرث أنبيائه، ومن خلال ذلك استعرضنا تلك التشريعات التي جاءت بها هذه الديانات نصاً ومنهاجاً خاصة الدين الإسلامي بعد الوقوف على ما تضمنته الديانة المسيحية من حقوق للإنسان ومكتسبات إلهية فجاءت تعاليم الدين الإسلامي أكثر وضوحاً وبروزاً منسجمة مع تكريم الإنسان التكويني في الحق في الحياة وتحريم القتل وتحريم الإجهاض أو قتل الأولاد خشية الفقر وتحريم الانتحار وحرية الاعتقاد والوقوف المتساوي للناس أجمعين أمام التشريعات والقوانين في العدالة والمساواة ومنع الاستعباد والمساواة أمام الله سبحانه وحق العيش المشترك وصونه فأصدرت كل ما يرتبط بذلك من حقوق وواجبات وقضايا اجتماعية وشخصية ودينية تربط الإنسان بالعلاقة الصحيحة مع ربه ومع مجتمعه ونفسه تحافظ من خلالها كرامته الإنسانية التكوينية وتضعه مهما اختلف نهجه العقائدي أمام مفترق طرق فإما السير على ما أمر به الله في شرائعه وما بينته رسله وخاصة في الدين الإسلامي فيحصل بذلك على كرامته ونجاته في دنياه وآخرته وإما أن يكون في فريق الضالين الذين أنكروا المعرفة وعطلوا الشرائع ولم يستجيبوا لفطرة الله التي فطر الناس عليها.

الكلمات المفتاحية: (الكرامة، الإنسانية، التكريم التكويني، التكريم التشريعي).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

Human dignity between inherent honor and legislation

Researcher. Hasnain Adnan Abbas Al-Janabi
University of Mazandaran / Faculty of Theology and Islamic Studies / Department of Quranic and Hadith Sciences
hasanainadnan8@gmail.com

Abstract

Starting with the definition of dignity, humanity, and the inherent honor bestowed upon humankind, as established by the various Abrahamic religions in the Torah, the Bible, and the Quran, beginning with the creation of humankind in the best of forms, the infusion of their spirit from the spirit of God Almighty, their spiritual and physical formation, and their appointment as God's vicegerent on Earth, this study affirms the inherent honor of humankind through divine texts in the scriptures and the legacy of the prophets. Through this framework, we examine the legislation of these religions, both in text and methodology, particularly Islam, after considering the human rights and divine entitlements contained in Christianity. The teachings of Islam emerge as clearer and more prominent, consistent with the inherent honor of humankind in the right to life, the prohibition of murder, the prohibition of abortion or infanticide for fear of poverty, the prohibition of suicide, freedom of belief, and the equal standing of all people before the laws and regulations of justice and equality. The principles of servitude and equality before God Almighty, and the right to live together and protect human dignity, have led to the establishment of all related rights, duties, and social, personal, and religious issues. These principles connect individuals to a correct relationship with their Lord, their community, and themselves, preserving their inherent human dignity. Regardless of their religious beliefs, they are presented with a crossroads: either to follow God's commands in His laws and the teachings of His messengers, particularly in Islam, thereby attaining dignity and salvation in this life and the hereafter; or to join the ranks of the misguided who have denied knowledge, disregarded divine laws, and failed to respond to the natural disposition with which God created humankind.

Keywords: (Dignity, Humanity, Innate Dignity, Legislative Dignity).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

مقدمة

الإنسان في المفهوم القديم الأرسطي وغيره هو عبارة عن حيوان ناطق هذا التعريف اختزل معرفة الإنسان وفهمه وأحكامه في العقل الذي اعتبر الراسخ في فهم الإنسان على الرغم من أنَّ كثيراً من سلوك الإنسان ومواقفه وكلماته لا تخضع للعقل بشكلٍ ميكانيكي لأنّها تصدر أيضاً عن الأحكام الذهنية المسبقة والمصلحة والعاطفة واللاوعي والمتخيّل وهذا ما شكل حتى عصرنا الحالي تمثيلاً لبنية تحتية صلبة مغلقة لعلوم الدين الإسلامي وهو أحد أهم أسباب ركود العقل وانغلاقه في الإسلام بوصفه بنية صلبة مسدودة يتعذّر أن يخرج التفكير عنها ولكن في العصر الحديث تقوّضت هذه الفلسفة وفكّكت وكشفت عدم يقينيتها وأعادت غربلة وتمحيص ما ورثته من تراث اليونان وتجاوزت مقولات الفلاسفة القدماء عن الإنسان ليغدو الإنسان في ضوء العقلانية الحديثة كائن عاقل عاطفي أخلاقي ديني جمالي اجتماعي تاريخي فهو كائن متفرّد يتميز عن غيره من الكائنات في الأرض بالعقل واللغة والعواطف والمخيّلة وتذوّق الفن والاستمتاع بالجمال ووعي الموت والشعور بالزمان والحاجة للأخلاق والدين.

فالله سبحانه وتعالى كرم الإنسان في مواضع كثيرة كالخلقة القويمة من وهبه العقل والروح والجسد وكذلك نفخ الروح وسجود الملائكة لآدم وتعليمه معنى الأسماء وتفضيله على الملائكة وتسكينه الجنة وخلافته في الأرض وتسخيره المخلوقات له فقد حفظ الإسلام كرامة الإنسان سواء أكان مسلماً أم غير مسلم فالجميع سواسية في الخلق كما بين أن الاختلافات بينهم هو آية من عند الله ولا تُنقص من هذا التكريم مضمون قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) فكان تكريم الإنسان وتفضيله على كافة الخلائق واضحاً في نصوص الذكر الحكيم كما في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠) فلقد جاء الإسلام ليؤكد على أصالة الكرامة الإنسانية ويرسخها بما جاء به من مبادئ إنسانية سامية تصون حرمة الإنسان وترعى كرامته وتنزله المنزلة التي أنزله الله إياها.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث من كونه يبحث في الأساس القيمي والأخلاقي الذي يبنى عليه النظام القانوني والعادل والذي يضمن كرامة الإنسان انسجاماً مع تكريمه الكوني ويبرز التكامل الذي جاء به الدين كونه مرسلاً من عند الله الذي كرم الإنسان منذ تكوينه ويوضح هذا التكامل بين النصوص الإلهية والتشريعية.

هدف البحث

يهدف البحث على إثبات أن الكرامة الإنسانية هي منحة وجودية منحها الله لخلقه من البشر منذ تكوينهم وليست مكتسبة قائمة على عرق أو دين أو قومية مهما حاول البشر التلاعب محفوظة في الشرائع السماوية جميعها وخاصة في الإسلام الذي شكلت فيه آيات الذكر الحكيم الملهم الرئيسي للتشريع صائناً للكرامة الإنسانية حريصاً على بث الأخلاق ومكارمها مشرعاً أحكامه بما يحفظ هذه الكرامة ويرسّخها ويؤطّرها في تشريع واضح لا يقبل التجزيء.

الفرضيات

- الدين الإسلامي جاء كخاتمة لرسالة الأنبياء التي جاؤوا بها من الخالق سبحانه والمنسجمة مع تكريم الإنسان التكويني والتشريعي بنصوص واضحة بعيدة عن التأويل تصلح لكل زمان ومكان.
- هذا التكامل حفظ الشريعة طيلة قرن ونصف من الزمن ويؤهلها للاستمرار كذلك لتكون أساساً لأي تشريع كوني مهما اختلفت ديانة متبعي هذا القانون.

أسئلة البحث

- كيف تجلى التكريم الإنساني الكوني للإنسان في الديانات السماوية.
- كيف انعكس التكريم الكوني للإنسان على التكريم التشريعي.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

منهج البحث

في بحثنا فإنَّ المنهج الأنْسب له هو المنهج التحليلي لتفكيك النصوص القرآنية بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي من خلاله نقف على التشريع في الديانات السماوية ثم المنهج الوصفي لتفسير الظواهر المرتبطة بالحقوق والحريات.

الدراسات السابقة

لم نجد رسالة سابقة تجمع بين التكريم التكويني للإنسان والتشريع في حين وجدنا الكثير من الدراسات المهتمة بالقضيتين بعزل كل منهما عن الأخرى ومنها:

١- مقال إلكتروني بعنوان الكرامة أصل تكويني، للشيخ محمد العبيدان القطيفي (٢٠٢٦)

وهو من المباحث الحديث التي يبحث فيها الباحث عن التكريم الإلهي للإنسان وحقيقة هذا التكريم وكيف هي الكرامة الإنسانية البارزة بين التكريم والتفضيل وكذلك عن التكريم كأصل تكويني والبحث في الفتاوى المتعلقة بذلك ليبقي على القضية لعناوين أخرى تبين مدى الترابط بين الكرامة الإنسانية والتشريع كطريق للبحث والتحليل كونه ميدان قليل السالكين.

٢- دراسة بعنوان الكرامة الإنسانية في التصور الإسلامي وتطبيقاتها الفقهية(دراسة مقارنة)، أحمد جمعة محمد، السعودية، جامعة كفر الشيخ، د.ت:

وفيها يبين الباحث العلاقة الرابطة بين الكرامة الإنسانية ومظاهرها وخصائصها في التصور الإسلامي والتطبيقات الفقهية التي جاءت تجسيداً عملياً للتصور الإسلامي ومقارنتها بما عليه التشريعات الأخرى التي قررت هذه الكرامة وقوانينه بهدف الربط بين الجانب الأكاديمي للفقه وتطبيقاته مع الجانب النظري الخاص بتكريم الإسلام للإنسان والتي تتجذر فيها الكرامة الإنسانية بكل تجلياتها.

٣- كتاب بعنوان "الدين والكرامة الإنسانية"، عبد الجبار الرفاعي، مؤسسة هنداوي، (٢٠٢٤)

وفيه يبحث الكاتب عن فهم الدين بعد فهم الإنسان وحاجته لمعنى لحياته وحاجته للكرامة والمساواة والحرية من خلال تعريف الإنسان وتعريف الدين وتعريف نصوصه بالشكل الذي يصير فيه الدين ملهماً للعيش في أفق المعنى معتبراً الكرامة اختبار لكل دين يتبين من خلال

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

ذلك كيف تعاطى مع الإنسان وكرامته والموقع الذي تحتله الكرامة لتغدو الكرامة الإنسانية مقصد مقاصد الدين وأسمى أهدافه باحثاً في مفهوم الإيمان والحب والأضداد في الطبيعة الإنسانية وأشكال التدين والكرامة بوصفها جوهر إنسانية الدين والبنية الفقهية للأخلاق وعلاتها بالاستعباد.

بملاحظة هذه الدراسة نجد أن موضوعنا الحالي لم يطرح بصورته التي نبحث بها عبر الربط بين مدى التوافق بين التشريع والكرامة الإنسانية في حين شغلت هذه المفاهيم منفردة اهتمام الباحثين.

المفاهيم

الكرامة في اللغة والاصطلاح

- في اللغة

الكرامة مصدر كرم أي يعطي بسهولة وجاد وكرم الرجل كرامةً أي عزَّ وكرم الشيء عزّ ونفس وكرم السحاب كثر ماؤه وكرّمه شرفه وأحس معاملته، وأكرمه/ سلك منه مسلك الكرم والجود فأحسن معاملته وأنعم عليه بما يرضيه، وأكرم الرجل وكرّمه أعظمه ونزّهه واستكرم الشيء طلبه كريماً أو وجده كذلك وتكرّم وتكارم تنزّه والكرامة اسم يوضع للإكرام كما وضعت الطاعة موضع الإطاعة والغارة موضع الإغارة، والمكرّم الرجل الكريم على كل أحد، والتكّرم تكلّف الكرم. (ابن منظور، د.ت، ج٥: ٥١٠)

- في الاصطلاح

فإن لها معان كثيرة فقد تشمل ظهور أمر خارق للعادة على يد شخص ظاهر الصلاح غير مقارن لدعوى النبوة والرسالة فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة. (الجرجاني، ٢٠٠٤: ١٥٤) وهو ليس محط الاهتمام في بحثنا. ومن جهة أخرى تتضمن الإعزاز والتفضيل والتشريف والتكريم بجعل الشيء كريماً في ذاته منعماً عليه إنعاماً عاماً بصفة من الصفات فالكرامة اسم للإكرام وهو إيصال الشيء الكريم أي النفيس إلى المكرم وكرامة النفس ترفّعها وتصوّنها. (المناوي، ١٩٩٠: ٢٨١).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

- مفهوم الإنسان والإنسانية

في اللغة الإنسان معروف يعني بالإنسان آدم، والجمع الناس، والإنسانُ أَصله إِنْسِيانٌ لأَن العرب قاطبة قالوا في تصغيره: أُنَيْسِيانٌ، فدلت الياء الأَخيرة على الياء في تكبيره، وإِنما سمي الإِنسان إِنساناً لأَنه عهد إِليه فَنَسيَ والإِنْسُ: البشر، الواحد إِنْسِيٌّ وأَنَسيٌّ أَيضاً، بالتحريك. ويقال: أَنَسٌ وآناسٌ كثير (ابن منظور، د.ت، ج: ٥٦).

- وفي الاصطلاح فإن الإنسان هو الحيوان الناطق والإنسان الكامل هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية وهو كتابٌ جامع للكتب الإلهية والكونية فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمّى بأم الكتاب ومن حيثُ قلبه كتاب اللوح المحفوظ ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهّرة التي لا يمسّها ولا يُدرك أسرارها إلا المطهّرون من الحجب الظلمانية. (الجرجاني، ٢٠٠٤: ٣٥).

ولفظة الإنسانية تشمل في إسنادها إلى الإنسان معاني الإحسان وإعلاء قيمة الكرامة الإنسانية ومنحه المكانة الأسمى في هذا الكون إلا أنّها في الحقيقة مصطلح إشكالي يثير الكثير من الخلاف بين مختلف الاتجاهات والمدارس الفرنسية تشير إلى مجموعة السلوكات والصفات القائمة على احترام قيمة الإنسان وكرامته لكونه إنساناً. (ديب، ٢٠٢٣: ٦٩)

مفهوم الكرامة الإنسانية

هي جوهر إنسانية الإنسان ولبُّ بشريته وأساس ذاتيته ووجوده بها يقوى الإنسان فيصونها ويذود عنها وتعد أصلاً من الأصول التي أرسل الله سبحانه رسله للحفاظ عليها وإرساء دعائمها فجعلها حقاً للأفراد والشعوب وليست وهبة أو منحة من أحد، بما لا يتنافى مع الفكرة السليمة والشرع القويم مشكلة إحدى القيم الخالدة فيا لحضارة الإنسانية عبر ترسيخها ومن شأنها ترسيخ شعور الإنسان بعزة نفسه وشعوره بالاحترام وبها يعيش بنو آدم القيم الإنسانية الداخلية الإيجابية وبها يتحقق التعايش والازدهار وبالإساءة لها عبر الاعتداءات الإنسانية أو الانتهاكات ترسخ المهانة فتسوق الناس نحو العنف والانتقام ولذلك عملت الشرائع والقوانين في كل مكان على صونها وحمايتها. (محمد، د.ت: ٤٩)

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

وفي مفهوم الكرامة الإنسانية في العصر الحديث فإنه لا يوجد تعريف محدد لها وإنما ربط بمجموعة من المؤشرات الدالة عليه ومنها حقوق الإنسان والعنصرية واللجوء وقد وضعت معاهدات دولية لصيانتها حيث تندرج فيها مفاهيم أخرى لتوضيحها ومنها المساواة في الكرامة والحقوق بين الناس والعدالة وحقوق الإنسان والحرية والاحترام والحماية والتعليم والأمن وعدم جواز إخضاع أحد للتعذيب أو العقوبة القاسية. (شعبان، ٢٠٢٥: ١١)

الكرامة الإنسانية بوصفها منحة وجودية

- الإنسان كائن غريب تتوحد في كيانه متطلبات جسد فوجدت الحاجات المادية وكذلك المتطلبات العقلية لكل ما ينشده من بهجة المعرفة وعالم مجرّد تظلُّ الأسئلة حيال أسراره مفتوحة على الدوام ومتطلبات نفسه من عواطف ومشاعر وأحاسيس وقلق ومتطلبات روح لكل ما تبوح به وتُضمره من ظمأ أنطولوجي وأشاق تواقة لصلة وجودية بالمطلق والطبيعة الإنسانية ملتقى الأضداد فعقل الإنسان يفكر في الخير مثلما يفكّر في الشر وينشغل الإنسان بتدبير السلام مثلما بتدبير الحرب وينفق لإنتاج وتأمين متطلبات الحياة الكريمة كما ينفق لإنتاج أدوات الحرب.

إنَّ أكثر ما يدلنا على كون الكرامة الإنسانية هي منحة وجودية منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان منذ تكوينه الأول هو نظرة الأديان والشرائع السماوية لهذا التكريم الذي صانته تعاليم الأنبياء وإرثهم الذي تحتفظ به الحضارة الإنسانية حتى يومنا هذا وفيما يلي نبين ذلك من خلال

- التكريم التكويني للإنسان في الإنجيل والتوراة والزبور

الشريعة اليهودية شريعة كهنوتية عنصرية رغم المرونة والعدالة الإنسانية الظاهرة في بعض نصوصها والعيب الذي يؤخذ على تشريعاتها جميعاً أنها خاصة باليهودي واما غير اليهودي فلا حقوق له لأنّه إما يقتل أو يطرد ومن استبقى فهو يكون عبداً إلى الأبد.

(سعفان، ١٩٨٩: ١٠٩)

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

كل التشريعات وضعت لتحقيق إنسانية الإنسان وجلب المنافع ودرأ المفاسد فحيث يكون الشرع تكون العدالة والرحمة والفضيلة والسيد المسيح يقول: "لا تظنوا أني جئتُ لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء ما جئت لأبطل بل لأكمل". (إنجيل متى (١٨ – ٥:١٧) ولوقا (١٧– ١٦:١٦) والشريعة في العهد القديم تضع أحكاماً شديدة وردت في الوصايا العشر حيث نصت بأن لا تقتل ولا تزن ولا تشهد شهاد زور....إلخ مع أحكام قاسية متشددة حاول السيد المسيح أن ينقلها من الفعل المحسوس إلى التصور المعنوي حتى ظنوا أنه يلغيها والحقيقة هي إصلاح ما أفسده أحبار اليهود والعود إلى شريعة النبي موسى عليه السلام.(إنجيل متى (٢٢– ٢١:٥) ولوقا (٢٠:٦ – ٢٦)

ثبت النص الديني في مجموع الأسفار المقدسة عند أتباعه من المسيحيين وغيرهم الكرامة الإنسانية بدءاً من قصة الخلق بأن هذه الكرامة الحقة ليست بمجرد وجود الإنسان بوصفه عالماً صغيراً وإنما بسبب خلقه على صورة الله حيث جاء النص: " وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيسلّطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدبّ على الأرض". (سفر التكوين، الإصحاح الأول، الفقرة/٢٦/) وقال المرنم ضمن المزامير: " أيها الرب سيّدنا: فمن هو الإنسان حتى تذكر؟ وابن آدم حتى تفتقده؟ وتنقصه قليلاً عن الملائكة، وبمجدٍ وبهاء تكلله؟ تسلّطه على أعمال يديك جعلت كلَّ شيءٍ تحت قدميه... (مر(٤:٨)

فالصلة بين العبد وربه هي أساس الكرامة التي يتمتع بها والحقوق الأساسية الراسخة كفيلها الله نفسه يوازيها واجبات تجاه الآخرين لأن خلق الإنسان على صورة الله هو تقرير عميق لعلاقة الحب الوطيدة بين الله وكل إنسان وكلك كرامة كل فرد. (عزيز، ٢٠١٣: ١٠)

والعهد الجديد يذكر كرامة جميع البشر ووحدتهم الأساسية والتزامهم بالأخوّة لأن السيد المسيح حقق لهم نعمة الخلاص جميعاً فسر التجسد تبيان للحد الذي أكرم الله به الطبيعة البشرية وقد أراد لها فيه أن تتحد بطبيعته بدون اختلاط أو انفصال يقول: " كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح

قد لبستم المسيح ليس يهوديّ ولا يونانيٌّ، ليس عبداً ولا حرٌّ ليس ذكرٌ ولا أنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم. (غلاطية ٢٧/٣)

ويشيرون إلى أنّ ما أُعطي للإنسان ليس سوى بعض من كرامة الله الذي هو صورة الله سبحانه لكن مثل الخيال في المرآة أو مثل صورة الملك على قطعة من العملة فالله منزه عن المعنى الطبيعي الجسدي والإنسان هو يعكس مجد الله وأعظم آمال الإنسان أن يعكس بطبيعته طريق المحبة والصبر والصفح واللطف والأمانة فقيمة الإنسان هي إدراكه سر خلقه على صورة الله. (اليسوعي، ١٩٩٤: ٣٥)

وقد ذهب البعض إلى أنَّ المسيحية لا تحمل شيئاً من الشريعة لأنّ الأمم استعاضوا عنها بالضمير ولما كان قد أعطي للإنسان قبل الشريعة أي قبل سقوط الأمم فإنّ الأمم لم يتعرضوا للخطيئة كما تعرض لها الشعب اليهودي الذي أسكت فيه صوت الضمير.

(عبد الوهاب، ١٩٩٢: ٤٦)

والمرونة التي تظهر في الإنجيل في التعامل مع الخطأة والعصاة هي التي دفعت بولس الرسول إلى النطق بوجود مضادة بين العبودية والنبوة في شخص السيد المسيح الأمر الذي جعل المسيحيين من بعده يقولون: " أن الشريعة عبءٌ ثقيل مفروض على الإنسان.

(أندراوس، ٢٠٠٠: ١١٠)

- التكريم التكويني للإنسان في الإسلام

وفي المنظور الإسلامي فإن الإنسان عنصر روحي يتألف من بعدين الروح والشكل وليس عنصراً بيولوجياً أو اجتماعياً فحسب بل هو جوهر مركب من النفس والبدن والنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي ولذا حرصت التشريعات على إيجاد حالة من التوازن والانسجام بين المتطلبات المادية كالطعام والشراب واللباس والحاجات النفسية كالرحمة والمحبة وغيرها.

(الرفاعي، ٢٠١٣: ٢٩٥)

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

ومن النصوص النبوية الدالة بوضوح على شرفية الخلق الإنساني قوله(ص): لا تقولنَّ قبَّح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإنَّ الله عزّ وجلَّ خلق آدم صلى الله وعليه وسلم على صورته. (البخاري: ١٧٣) تنويهاً بهذا المخلوق الذي خصّه الله بعنصر شريف في تكوينه وهو عنصر الروح تعريفاً بشرفه وقدسيته تدل على الرفعة والشرف.

فقد كرّم الله سبحانه وتعالى الإنسان بوضع التشريع المناسب لفطرته في تنظيم شؤون حياته حتى تسير عجلة الحياة وفق منهج الله يكون فيها الإنسان مكرّماً عزيزاً لا يذل لغير الله ولا يخضع في حكم تشريعي إلا لمرضاة الله دون الانتقاص من كرامته.

- الكرامة الإنسانية في التشريع الإسلامي

ولفهم الكرامة الإنسانية في التشريع الإسلامي نقف عند تجلياتها في نصوص الذكر الحكيم مصدر التشريع الأساسي الذي اتفقت عليه جميع المذاهب الإسلامية فنجد

١- الحق في الحياة وتحريم القتل إلا في حالات محددة شرعاً

أكّدت الآيات الواردة في الذكر على حق الإنسان في الوجود وفي الحياة مانعة إياه من أذية ذاته حيث نجد تحريم قتل النفس أياً كان صاحبها سواء رجلاً أم طفلاً أم امرأة لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الإسراء: ٣٣) وفيها تحديد لمن يجب عليه القتل فقط وهو إما لكفره أو لردته أو لأنه قتل نفساً بغير حق أو زنى. (الطبرسي، ٢٠٠٦، ج٦: ١٨٨) بل جعل من يقتل نفساً كأنما قتل الناس جميعاً لقوله تعالى:﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣) وذلك بأن يكون قاصداً قتله عالماً بإيمانه وحرمة قتله وعصمة دمه مستحلاً لقتله متعمداً على قتله ففيها وعيد شديد لمن قتل مؤمناً متعمداً حرّم الله به ذلك وغلّظ فيه. (الطبرسي، ٢٠٠٦، ج٣: ١٣٤)

٢- تحريم الإجهاض أو قتل الأولاد

وهو يأتي انطلاقا من التحريم القتل أياً كان نوعه وفي ذلك جاء قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١) وفيها تحريم للقتل لأن الرزق من الله سبحانه والقتل داخل في الفواحش تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره والنفس المحرّم قتلها هي نفس المسلم والمعاهد والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرم قتلها إلا لثلاث قود أو زنا أو كفر بعد إيمان وقوله(ذلكم) خطاب لجميع الحق وصّا به الله سبحانه لكي يعقلوا ما أمرهم به فيحلّلوا ما حلّله ويحرّموا ما حرّمه.

(الطبرسي، ٢٠٠٦، ج٤: ١٤٥)

٣- تحريم الانتحار

وهو مضمون وقوله تعالى:﴿ ... وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩) وفيه أقوال كثيرة ومنها أن لا يقتل بعضكم البعض لأنكم أهل دين واحد أو قتل الإنسان نفسه في حال غضب أو ضجر أو جراء ارتكاب الآثام والعدوان في أكل المال أو المخاطرة في القتال بل لكل نفس ما تطيقه. (الطبرسي، ٢٠٠٦، ج٣: ٥٨)

٤- حرية الاعتقاد

فقد بين الله تعالى الطريق ووضحه ودعا إليه فإن كان شاكراً بتوفيق الله تعالى وإن كان كفوراً فبسوء اختياره كما جاء في قوله تعالى:﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣) وقوله (هديناه) أي بينا له الطريق ونصبنا له الأدلة وأزحنا له العلة ليتمكن من معرفة الحق من الباطل وهو طريق الخير ويقابله طريق الشر أي طريق الدين نحو الثواب ليختار السعادة أو الشقاوة وأيهما اختار جوزي عليه بحسبه وفيها دليل على أن الله هدى جميع خلقه لأن اللفظ عام. (الطبرسي، ٢٠٠٦، ج١٠: ١٦٣)

٥- الناس سواسية أمام القانون والحقوق والواجبات

فالعدل هو الهدف الأساسي لأي حكم وهو ما أمر الله تعالى به الإنسان في معاملاته مع الإنسان وقد حفظ الله للناس ضرورياتهم وحاجياتهم وكمالياتهم من خلال العدل الذي أصبح جزءاً من شخصية الإنسان المسلم. (مصطفى، ٢٠١١: ٤٦)

قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨) وفيها يشير الطباطبائي إلى أن كل مؤتمن على شيء يجب عليه ردّه وفق ما نصت عليه أقوال الأئمة والمراد بالخطاب ولاة الأمر بأن يكون الحكم بين الناس جميعاً بالعدل لا بالجور وهذه من أعظم النعم التي يأمرهم الله سبحانه بها (الطوسي، ١٤٣١، ج٤: ٥٠١).

٦- منع الاستعباد

مضمون قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦) ففي الإسلام العبادة لله وحده وهذا ما خالفته كل الحضارات والمجتمعات السابقة للإسلام فقد عبدوا الإنسان واستغلوا الرقيق منتهكين إنسانيتهم والإسلام أعاد لكم الكينونة واستعاد طاقتهم. (الرفاعي، ٢٠٢٤: ٢٩٩)

٧- المساواة أمام الله

لقوله تعالى:﴿... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢) وهنا ينص التفسير في التبيان عند الطباطبائي أن أمر الله للخلق بأن يعين بعضهم بعضاً على البرّ وهو العمل بما أمرهم الله به واتّقاء ما نهاهم عنه وأن يعين بعضهم بعضاً على الإثم. (الطوسي، ١٤٣١، ج٥: ٢٠٧) ففي التعاون مساواة وتضافر جهود لفعل الخير ونبذ العدوان والابتعاد عن ارتكاب المعاصي.

٨- العيش المشترك

قوله تعالى:﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٨ ﴾ (الممتحنة: ٨) فالله يحب العادلين الذين يجعلون لقراباتهم قسطاً مما في بيوتهم من المطعومات والله لا ينهاهم عن مخالطة أهل العهد المعاهدين على عدم القتال وبرهم ومعاملتهم بالعدل والعدل فيمابينهم. (الطبرسي، ٢٠٠٦، ج٩: ٩٤) فقد أعطى الإسلام حق التعايش مع الآخرين وحق التنقل داخل بلده أو خارجه وعدم قطع الطريق عليه وهجرة النبي(ص) أو تطبيق لهذا الحق. (الفتلاوي، ٢٠٠١: ٩٧)

وعليه فإن الإسلام جاء مركزاً على الكرامة الإنسانية كمبدأ من مبادئه السامية التي لا يمكن التخلي عنها تحت أي ظرف سواء في السلم أو في الحرب لتغدو الكرامة جوهر الدين الإسلامي فتغدو حقوق الإنسان في الإسلام هي من أسس العقيدة وبالتالي فإن كرامة الإنسان هي من الأسس الثابتة على مر الزمان وفي كل مكان لأن مصدرها الله سبحانه وتعالى عالم أسرار النفوس وعلاجها.

١١- الكرامة الإنسانية بين التكريم التكويني والتشريع

من خلال ما سبق استطعنا أن نثبت التكريم الإنساني الذي حظي به الإنسان كنعمة من الله سبحانه وتعالى وهو ما نصت عليه الشرائع السماوية بمختلفها نصاً وتطبيقاً فكان هدفها المطلق هو الحفاظ على الكرامة الإنسانية للإنسان مهما كان دينه أو منهجه العقائدي والعبادي وبهذا فإن الطريق الذي رُسم للوصول إلى الكرامة الإنسانية هو التقيد بهذه التشريعات والنصوص الإلهية والسير بمقتضاها.

وبهذا يتضح الفريقان الأول الملتزم على طريق الحق باتباع أوامر الشريعة وما سنته القوانين الإلهية متعظاً بما أخبرت به الآيات وتواترت عليه الأخبار فوصل إلى كرامته الإنسانية بما ينسجم مع خلقه وتكوينه الذي حباه الله تعالى إياه، والفريق الآخر ضلّ عن الهدف بعد أن أوضح الله له الطريق ورسوله والمؤمنين فآثر إلا الضلال والعمى فكان أضل من الحيوانات معرفة وسبيلاً.

- خاتمة

تبقى الكرامة الإنسانية التي منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان منذ تكوينه وخلق بيديه ونفخ الروح فيه وإقامته على صورة مكرمة ومنحه كل ما يؤهله لأن يجلس في مقام التكريم من عقل وإيمان وروح وتكوين جسدي بشقيه المادي والروحي جعلته أن يكون خليفة لله سبحانه وتعالى في الأرض ليعمرها بما أمر به الله ووضحه وأرسل رسله لإثباته وتلقينه للناس حتى لا تبقى حجة لهم عليه فكانت كل الرسائل السماوية متماثلة لجهة الحفاظ على هذه الكرامة الإنسانية والتأكيد عليها من خلال منع الاستغلال والاستعباد وضمان حرية الاعتقاد والمساواة أمام

القانون والعدالة الإلهية فسنت التشريعات المناسبة المنسجمة مع التكريم التكويني للإنسان والذي حفظته الكتب السماوية لترسخ النصوص التشريعية هذا التكريم على شكل قواعد وأوامر إلهية تنظم كل ما يتعلق به من حياته الخاصة والعامة والعلاقة مع كل ما يحيط به من بشر بهدف منحه المكانة المستحقة وبقدر التزامه بهذه التشريعات والسير وفق ما نصته ورسمته من تعاليم وتشريعات فإنه يصل إلى المكانة الكريمة التي يستحقها وفي حال السير في طريق معاكس يسقط عنه رداء الكرامة ويلبس ثوب المهانة وهنا يبرز التشريع الإسلامي بصورة أساسية وواضحة لأنّه منبثق عن مصدره الرئيسي آيات الذكر الحكيم كتشريع إلهي متكامل هدفه حفظ الكرامة الإنسانية للإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى منذ خلقه ووعده التكريم في حال سيره على الطريق المستقيم وهذا ما نصت عليه الديانات الأخرى وإنْ بدا أكثر وضوحاً في شرعنا الحنيف.

- النتائج

- الكرامة الإنسانية حق وجودي للإنسان مرتبط بنشأته وتكوينه الذي حباه الله به وليس حقاً مكتسباً ناله لانتمائه الديني أو العرقي أو الاجتماعي.

- الكرامة قيمة عليا جامعة خص الله سبحانه وتعالى الإنسان بها وقد نصت الكتب السماوية جميعها على تكريم الإنسان انطلاقاً من خلقته وتكوينه على صورة مكرمة من الله سبحانه وروحه التي بثها بين جنبه وطبيعته التكوينية الجسدية والروحية.

- للكرامة الإنسانية في التصور الإسلامي مجموعة من الخصائص فهي منحة إلهية لأنها وهبة من الله سبحانه وتعالى فليس لأحد من البشر أن يسلب هذه المنحة والعطاء الرباني.

- مظاهر التكريم التكويني للإنسان متعدد منها خلقه في أحسن صورة ونفخ الروح فيه من روح الله وجعل الكون كله في خدمته وتسخيره لمنفعته كرامة من الله له ونعمة.

- جاءت التشريعات الدينية والعقائدية لتحافظ على التكريم التكويني للإنسان من خلال النصوص الدينية والأحكام الفقهية ومرتبطاتها العملية.

- طريق الإنسان مبني على أساس الاختيار بين الكرامة والنجاة في الآخرة وبين الضلال والهلاك بما يلتزمه من اتباع طريق الحق الذي رسمته الشرائع السماوية باتباع الأوامر واجتناب النواهي.

- المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن منظور، مكرم، (د.ت)، لسان العرب، بيروت: دار صادر.

٢. أندراوس بشته، عادل ثيودور، (٢٠٠٠)، الإسلام يسائل المسيحية في شؤون اللاهوت والفلسفة، لبنان، جونيه: المكتبة البولسية الرفاعي، عبد الجبار، (٢٠١٣)، إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.

٣. الجرجاني، علي بن محمد، (٢٠٠٤)، معجم التعريفات، القاهرة: دار الفضيلة.

٤. ديب، أحمد، (٢٠٢٣)، مبدأ إنسانية الإنسان من خلال الأدب المفرد، الإمارات: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية.

٥. سعفان، كامل، (١٩٨٩)، دراسة في التوراة والإنجيل، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٦. شعبان، أحمد، (٢٠٢٥)، الكرامة الإنسانية بين التصور العالمي والتصور الإسلامي، بيروت: المجلة الدولية لنشر البحوث، المجلد٦، الإصدار ٧١.

٧. الطبرسي، الفضل بن الحسن، (٢٠٠٦)، مجمع البيان، بيروت: دار المرتضى.

٨. الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي، (١٤٣١)، التبيان في تفسير القرآن، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

٩. عبد الوهاب، أحمد، (١٩٩٢)، الإسلام والأديان الأخرى، مكتبة التراث الإسلامي.

١٠. عزيز، سالم نمرود، (٢٠١٣)، كرامة الإنسان في المفهوم المسيحي، موقع مدارك لدراسة آليات الرقي الفكري .http://www.madarik.org

١١. القطيفي، الشيخ محمد العبيدان، (٢٠٢٦)، الكرامة أصل تكويني، موقع إلكتروني.

https://www.alobaidan.org

١٢. محمد، أحمد جمعة، (د.ت)، الكرامة الإنسانية في التصور الإسلامي، السعودية: جامعة كفر الشيخ، كلية الآداب.

١٣. مصطفى، ناديا، (٢٠١١)، القيم في الظاهرة الاجتماعية. القاهرة: دار البشر للثقافة والعلوم.

١٤. المناوي، عبد الرءوف، (١٩٩٠)، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة: عالم الكتب.

١٥. اليسوعي، صبحي حموي، (١٩٩٤) معجم الإيمان المسيحي، ط١، بيروت: دار المشرق.